

# كسورة في الأدب العربي الحديث

بقلم سعيد السباني

قفص الاتهام ، لان المجرم لا يخاف مجرما مثله بل يخاف ضده وهو المواطن الصالح .

فهلا ؟ لماذا صلب المسيح ؟ ولماذا صلب اسبارتاكوس ؟ ثم لماذا اعتبر فلاسفة ومفكرو الاسلام الاول زنادقة ؟ حتى الان لم يجد الشرفاء جوابا سليما ؟ ولماذا اعدم لوركا ؟ ولماذا طرد شارلي شابلن من نيويورك رغم ان تمثال الحرية فيها اجمل تمثال في العالم ؟ ولماذا طرد بول روبنسن من الولايات المتحدة ؟ ومن هو الذي قتل كندي ؟ وروزفلت ؟ ومن الذي شرد ناظم حكمت ؟ ( وقتل الوار ) وغيرهما ؟

ان الذين يملكون الجواب الحقيقي عن كل هذه الصور من الجرائم البشرية هم وحدهم الذين يعتبرون في نظر القنلة مجرمين تماما مثل المقتولين .

فهوارد فاست ، وشارلي شابلن - مثلا - يعتبران مجرمين خطيرين في نظر السيد مكارثي والسيد دالاس . وفي وطننا العربي يوجد نفس الشيء طالما فيه مخلوقات بشرية واشباه مخلوقات بشرية .

فتورة الادب تعني في نظرنا الثورة على المجرم الحقيقي عدو الشعب وعدو الشعب العربي لا يختلف عن عدو الشعوب الاخرى مطلقا فنحن نرى انه باسم الشعب تعدم طلائع الشعب ، وباسم الشعب تنهب امسوال الشعب وباسم الشعب نفسه يحارب الشعب ؟ فهل يمكن القول ان الذين يستغلون الشعوب هم الذين يدافعون عن حقوق الشعب ؟ ان ذلك اشبه بمن ياتمن الذئب على القطيع : ولكي يكون الادب ثوريا فعليه ان يناضل لتغيير المجتمع كليا وهذا يعني الا يصبح المجتمع قسامين : قسما منتجا وقسما مستهلكا ، بل يجب ان يكون المجتمع قسما واحدا اي منتجا ومستهلكا لانجابه ، - فالجهود التي يبذلها العامل والزراع يعود اليه بشكل منافع متنوعة متبادلة .

ربما يرى البعض ان هذا خلط في الامور ، فيقول ان لا دخل للادب في الاقتصاد والسياسة والفلسفة ونحن لا نرفض هذا الاعتراض بل نحن موافقون عليه لكن موافقتنا مشروطة بشرط موضوعي هام ، وهو ان نلغي عقولنا وبالفاء عقولنا فقط تكون متفقين ، لاننا اذا ابقينا عقولنا فانها - اي عقولنا - كثيرة الفضول فسوف تحشرنا في الفلسفة ونقول لنا ان الانسان ثمرة التاريخ والتاريخ لا يعمل الا بواسطة الانسان فهما مترابطان وكل شيء مترابط ، فالفني مرتبط بالفقير والرابط بينهما هو عنصر استقلال الفني للفقير ، وهكذا تصبح الحياة المجتمعية مترابطة في علاقات وشروط ذاتية ، وخارجية ، وحينما نقول او نصل الى هذه القوانين العلمية فابن نضع ( اللامتمنين - والعدميين الخ ) هذه المصطلحات الفنية الجديدة ، وبدون ان ندري نصبح بقدره قادر بشري مجرمين في حق الشعب ويصبح تطبيق نصوص الدستور والقوانين الجنائية لازما علينا لاننا نفكر وتلك هي مصيبة الابداء في وطننا العربي وفي كل وطن بورجوازي ! فمهمة الادب الثوري هو التصدي لكسل التحركات الساعية ضد مصالح الشعب الذي يشرب الترفون دمعسه خمره ويرفمون الشعارات باسمه .

والادب العربي في كل فنونه - نقصد الادب الثوري - قد التزم وسيبقى ابدا ملتزما الدفاع ضد القوى الشريرة التي تسعى الى تدمير العالم ، والقوى التي تحارب وحدة العالم العربي وحرية وحقه في اختيار الطريق الديمقراطي والسلامي وهي ليست قوى خارجية عن الوطن العربي فقط بل ان ركائزها داخل الوطن العربي هي اشهد

ان مسؤولية حماية بقاء الانسان ملقاة - اليوم - على الفن الثوري ، يرى الانسان اليوم ان العلم فسي تطوره التاريخي يتجه اتجاهاين : اتجاها في خدمة الانسان وحماية بقائه على الارض ، واتجاها اخر في خدمة ( العدم ) وما دامت المجتمعات البشرية تنقسم الى طبقات مستغلة وطبقات مستغلة فان الصراع بين الوجود والعدم سيمضي وستبقى البشرية - ابدا - تتقاتل في سبيل ان تاكل الطبقة المترفة الطبقة الكادحة .

ويقول المستغلون لمجهود البسطاء ان الفنى والفقر سنة الحياة واردة السماء وجعلوا من انفسهم في الأرض وكلاء للسماء ، وبنسوا الكنائس والمعابد لتكون منابر الدعاية لهم .

وقبل ان تتدخل السماء في شؤون الارض كان الانسان يعميل متضامنا ويطعم مجهوده جماعيا ، ولما ظهرت الكهنوتية وتعمدت الكنيسة وارسست اركانها تحملت عبء مسؤولية السماء وقامت ببيع الصفقة الروحية على عباد الله الطيبين الذين لا يملكون شيئا سوى الصلاة . اما مجهودهم العفلي فقد كان ملكا للمتربين وللكنيسة ، وكسم باعت الكنيسة صكوك الغفران لعباد الله الطيبين ! وكم قبلت اعترافات ! وكم ادانت ، وكم اعدمت من هؤلاء البؤساء ! ولكنها في سجنها - لم تن يوما ما في تاريخها غنيا ؟ لماذا ؟ لا يستطيع احد ان يجيب على هذا سوى قداسة البابا !!

ولم يتحمل مسؤولية الدفاع عن عباد الله الطيبين سوى الابداء هؤلاء المخلوقين الذين يصارعون بالحروف ، فهم لا يملكون البطاط ، ولا السيوف ، بل كان سلاحهم هو مجموعة من الكلمات المضيئة ، واليوم تقع مسؤولية الدفاع عن مخلوقات الله البائسة على هؤلاء الابداء الذين يحملون بطون الانسانية القادمة والذين يعتبرون ارقى احساس المجتمع .

وفي واقعنا العربي يتحمل الادب اليوم المسؤولية العظمى فسي سبيل اعادة حقوق التبعين الذين هضموا طوال التاريخ ولم يعد هناك اليوم من يستطيع ان يقول ان الفنى والفقر سنة الحياة سوى اولئك الذين يملكون كل شيء ولم يعد مطلب الاشتراكية جريمة الا في دساتير الدول البورجوازية التي هي اداة قمع طبقية تحمي المتربين من غضبة البؤساء تحمي الرأسمالية من العمال وتحمي الاقطاعيين من الفلاحين ، وتحمي السادة من العبيد ، واذن فان مفهوم ثورة الادب لدينسا ليس كونه يعظ المتربين ان يرحموا المعدمين فتلك وسيلة سلفية من بقايا سيطرة الكنيسة والمعابد ، فاذا رأى راء عاريا يسير حافيا وراء شخص حسن الهندام فلا يجب ان يقول ان هذا شيء طبيعي لانه حتى هذه المرحلة التاريخية من تطور البشرية ليس هناك شيء او وضع اسمه ( طبيعي فكى شيء في نظرنا لا يزال غير طبيعي ، والذين يملكون المبررات هم الذين ارتكبوا الجريمة ، فالحامون غير الثوريين مثلا في نظرنا هم شركاء القنلة واللصوص لان وظيفتهم ليست اكثر من تبرئة المجرم وادانة البريء ، لان المجرم يملك اتعاب الحمامة اما البريء فلا يملك سوى حقه في كونه ( انسانا حقيقيا شريفا ) والانسانية الشريفة بكل أسف - شيك بلا رصيد لا تقبل النقابات ولا البنوك صرفه في اي مصرف - والامن العام والاستخبارات ليست وظيفتهما تتبع المجرمين واللصوص في المجتمع ؟ ولكن من هم المجرمون ومن هم اللصوص ؟ اذا اردنا ان نعرف ذلك فحق علينا ان نكون شرفاء وكوننا شرفاء يجعلنا في

اينما تذهب الذهب  
ثم ينهي قصيدته بقوله :  
لتهب العاصفة  
لتهب العاصفة

وما العاصفة سوى الثورة ضد السلاطين واحفاد الفزاة ، وان كل قطر عربي يرتبط في ذهن الشعوب في ذهن الجماهير الكادحة بادبانه وفنانيه .

وكما يربط العراق بفنانيه كذلك السودان والجزائر والجمهورية العربية المتحدة وتونس واليمن وكل الاقطار العربية الاخرى . قصورة السودان الثورة نجدها في شعر محمد الفيتوري ، ومحيي الدين فارس وجيلي عبد الرحمن وتاج السر الحسن كطالغ مثقفة تقود نضال هذا الشعب الذي عشت به ايدي المستعمرين وحاولوا تجزئته كما جزأوا اليمن والمغرب والشام ، والفيتوري لم ير في السودان جزءاً منفصلاً عن باقي شعوب افريقيا العربية والافريقية ففي قصيدته ( البعبعث الافريقي ) يحرض افريقيا على الثورة ضد السادة المستعمرين :

افريقيا  
افريقيا استيقظي  
استيقظي من حلمك الاسود  
قد طالما نمت الم تسامي ؟  
الم تلمي قدم السيد  
قد طالما استلقيت تحت الدجى  
مجهدة في كوخك المهجد  
مصفرة الاشواق ، مفتوهة  
تبني بكفيها ظلام الغد  
جوعانة تمضغ ايامها  
كحارس المقبرة المقعد  
عريانة الماضي بلا عزة  
تتوج الآتي ، ولا سؤدد

وارتباط الادب بقضية الشعب اصبح مطلباً بل واجبا انسانياً . والفيتوري هذا الشاعر الانسان رأى الشابي ذلك الشاعر العملاق الذي غدا شعره يدوي في الوطن العربي ويردد صوت النذير بانكسار القيد ، ويخاطب الشاعر السوداني الشاعر التونسي العظيم ، كما خاطب البياتي ناظم حكمت قائلاً :

يا معجز الارض بفن السماء  
ومعجز الموت بسر الخلود  
كم زحزحت كفاك من صخرة  
سدت على الفجر طريق الصعود  
وكم مشيت روحك في هوة  
صاحبها خلف الزوايا طريد  
وكم حضنت الشوك مستترقا  
في فكرة مملوءة بالورود  
وعشت كالنبوذ في امة  
هدت قواها مومياء الجمود  
ومت لكن الذي لم يمت  
هذا البناء الضخم ، هذا القصيد  
شعر كاشواقك يفزو السماء  
امتداده كالسندبان العتيد

والشابي مفخرة الشعر العربي الثورة وعمود ضخيم من اعمدة الادب الثوري الحق ، وكما ناضل الادياب العرب في قضايا بلادهم العربية والانسان العربي المتطلع فقد ناضلوا من اجل الانسان اينما حل ، ولذلك يتساءل الشاعر اللبناني خليل حاوي عن مولد بطسل السلام والانسانية ذلك البطل الذي هزم قياصرة روما دون رماح ودون سيوف ، انه يبحث عن البطل العربي الذي يخلص هذا الانسان العربي المعاصر من مأساته السوداء ويقفز به الى صباح الخير والسلام :

خطورة واشد شراسة ، وكل حبة لا تجد تربة صالحة لا تنمو ، ومسا كان في استطاعة الاستعمار ان يقتحم الوطن العربي ما لم يجسد المترفين والرجعيين يروون مزرعته وصباره في حقل الشعب ، والحقيقة ان الادب العربي الثوري لم يقف متفرجا بل ناضل بجسارة ضد الطفلة والجلادين والدخلاء والعملاء ، ونستطيع من هنا ان نذكر الدور الذي يقوم به الادب الثوري في تحول المجتمعات ولان الادياب انسان فان فعاليته فعالية غائية وهي جعل المجتمع المتناقض مجتمعا منسجما ، والفن عامة - اي الفن الثوري - له فعاليته في وجدان المجتمع فاعيننا « فيروز » مثلا ( سوف احيا ) و ( سترجع يوما الى حينا ) واغنية عبد الوهاب ( فلسطين ) تعمل في الوجدان العربي اكثر مما تعمله مليون خطبة في مركز السياسة العربية .

ان فعالية الفن في المجتمع العربي فعالية ايجابية ثورية صلبة ، واذا عدنا الى الماضي وجدنا تاريخ الادب العربي يعرفنا ان مولد شاعر لقبيلة عربية كان يعني مولد القبيلة ذاتها ، وان بيت هجاء لشاعر تدمر قبيلة وبيت مدح لشاعر اخر ترفع قبيلة لم تكن معروفة على مدى طويل ، وحتى العصر الحديث لا يزال للادب فعاليته الموضوعية . واقترب دليل هو قصيدة نزار قباني ( خبز وحشيش وقمر ) لقد احدثت ضجة عظيمة في سوريا ولا يستطيع احد ان ينكر خوف السياسيين الرجعيين وريهم الاستعمار من الادياب الثوريين في الوطن العربي وغيره . لقد كان ( ناظم حكمت ) يهز بشعره كراسي الاسياد في تركيا ، و بابلو نيردوا لا تزال كلماته تردد في شوارع اميركا الجنوبية وعلى شواطئ الكاريبي وقناة بنما ، وما كان يهرب قيصر الفولغا سوى جوركي ، وما ياكوفسكي ، ولم يلق نوري السعيد وعبد الاله وقاسم سوى حروف شعراء العراق العمالقة رغم انهم لا يملكون اكثر من الشعر ، وحينما نفكر بثورة العراق يقفز الى اذهاننا طالع هذا الشعب الثوري ، كالرصاصي والجواهري والبياتي وخالد الشواف وعلي الحلبي والسياب ونازك الملائكة وكاظم جواد وهلال ناجي وعدنان الراوي وغيرهم . فعندنا الراوي حينما يقول:

والمملوك الطفلة بدعة قوم  
يرنون الطغيان بالانساب  
يا بلاط الكفر المقيم تهتم  
يا بلاط اقيم بالاسلاب  
اصاب ليملا الياس قلبي وغوى  
ليستغل حرابي  
يا روابي دمشق يا ( حلب الشهباء )  
يا وميض كل شهاب  
يا دماء في ميسلون كهوج  
في حمى ( اللاذقية ) الصخاب  
ناصرى انا يقيني بالله  
والشعب وحدة الفسلاب  
ستعود الاعلام اعلامنا  
الشماء مرسومة على الاهداب  
لم يقل ذلك ابتغاء مرضاة ملك او بلاط ، بل من اجل الشعب الذي هو يقينه . والشاعر خالد الشواف حين يقول :

يا ساسة العرب سقيتم شعوبكم  
من كرمة الخور القتال ما فصدا  
ملائمو سمع الدنيا بججمعة  
جوفاء ليس لها في العالمين صدى  
ان الشعوب اذا ضاقت بواترها  
فما تقوم الا بالدم القودا  
ماذا تقولون للتاريخ  
ويلكمو  
اذا بعار الليالي حدث الابدان

فهو لم يكن ليندر الساسة العرب ، بل كان يستحث الشعب العربي على الثورة ضد هؤلاء الساسة الاستعماريين العملاء ، وعبد الوهاب البياتي الذي منح حياته للحرف الشريف الملتب لم يكن الامدا ثوريا لشعب ثوري :

ايها الحرف الذي علمني حب الحياة  
ايها الحرف الاله  
اه لا تطفئ مصباحك اه  
كل ما اكتبه محض صلاه  
لك ، للعلم ، ما اكتبه محض صلاه  
وسلاحي في يدي ضد السلاطين واحفاد الفزاه  
ايها الحرف الملتب

أترى يولد من حبي لأطفالي وحبي للحياة  
فارس يمتشق البرق على الفول ، على التنين  
ماذا هل تعود المعجزات ؟  
بدوي ضرب القيصر بالفرس  
وظفل نصري وحفاة  
روضوا الوحش بروما  
سحبوا الأنياب من فك الطفلة  
رب ماذا ،

رب ماذا ؟ هل تعود المعجزات

أما صلاح عبد الصبور فلم يكن حواراً للقاصيين حواراً سياسياً  
محترف بل كان يمثل صوت الشعب الحقيقي الذي يواجه القاصيين  
بكل صلابة وجبروت وعناد ، وقد خاطب عدوه بلغة الشعب :

سأقتلك .

من قبل أن تقتلني سأقتلك

من قبل أن تفوص في دمي أغوص في دمك

وليس بيننا سوى السلاح

وليحكم السلاح بيننا

واننا إذا تذكرنا مواقف العرب التحررية البطولية ، فسنعجد  
بور سعيد رمزا لبطولة الشعب العربي وقد كان الأدب الثوري العربي  
خاصة الشعر سلاحاً رهيباً في هذه المواقف ضد الغزاة والطامعين  
كما أنه ارتبط ارتباطاً قوياً بمطالب الشعب العربي في التحرر  
والاشتراكية والوحدة ، فليس هناك شاعر ثوري لم يناضل بحروفه  
الشريفة ضد الغزاة المستعمرين في فلسطين الحبيبة وفي جبال وهران  
الصامدة وفي بور سعيد العتيبة وفي اليمن السعيدة وعلى النهريين  
ودمشق والتيل من أجل الحياة الكريمة ومن أجل العروبة المتحدة ومن  
أجل الإنسان العربي العملاق ، وكما غنى الشاعر سليمان العيسى في  
سوريا بالوحدة العربية :

ويمور الحشيد أطفالاً وشباباً

ينسجون الوحدة الكبرى دماءً وغلاباً

لوحوا بالنير من بغداد تستلني الرقابا

فتركناه ولما يدي في الأفق سرايا

ومضينا نهب السباح كما شئنا خضابا

كذلك غنى بها شعراء اليمن ورددتها السنة الأدب في كل ميدان

صدر حديثاً عن :

## دار العلم للملايين

بيروت

### أزهار الضياع

أحدث دواوين الشاعر سليمان العيسى

### أدبنا وأدبنا في المهجر الأميركية

للاستاذ جورج صيدح

طبعة جديدة مزيدة ومجلدة تجليداً أنيقاً .

طبيبك معك

للدكتور صبري قباني

الفداء لا الدواء

للدكتور صبري قباني

### الحربة ومشكلتها في البلدان المتخلفة

للدكتور منيف الرزاز

### الحرب العالمية الأولى

أوفى مجلد عن سير هذه الحرب وأسرارها .

مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح

علوم الحديث ومصطلحة للدكتور صبحي الصالح

يقول الشاعر عبد الله الجردوني :

أنا توحدا هوى ومصائرنا

أترى ديار العرب كيف تضافرت

وكان مصر وسوريا في مارب

اليوم التي في دمشق بني أبي

وأبث أجدادي بني غسان في

واهيم والأنسام تنشر ذكرهم

دعني أغرد فالعروبة روضتي

فدمشق بستاني ومصر جدأولي

وسماء لبنان سماي واهلها

بل اخوتي ودم الرشيد يفور في

فاترك جناحي حيث يهوي يحتضن

ويقول الشاعر محمد الشوفي :

يا وحدة الأمل أنا ها هنا في كل درب

أمل تداعبه أامل موكب نشوان صب

يهفو لوحده الكيرة بين أشواق وحب

فتظل من أفق القلوب كأنها خفقات قلب

تزهو بركب شامخ الأضواء يجري أثر ركب

فيكاد يفشى الناظرين صباحها الأسنى ويصبي

اهلاً بقافلة العروبة يلتقي شعب بشعب

وتهر تياراً يزاحم منكب الدنيا بجنب

ونستطيع أن نقول بجرأة وثقة أن اتجاه الأدب العربي اليوم هو  
اتجاه ثوري واقفي يجمع بين عكس الواقع الصادق وبين التخويل  
الثوري لهذا الواقع . ونقصد بالواقعية في الفن تأكيد حوادث الحياة  
الموضوعية المتراكمة . وأمام الأدب اليوم جهات نضال متعددة ، فليست  
الحرب على القديم هو هدف الفن ، بل هدفه تحويل الواقع العربي  
الحالي الى واقع أفضل . ونحن نرى أن مؤتمرات الأدباء العرب يجب  
أن تتحول الى جبهة عربية موحدة وأن تتخذ موقفاً إيجابياً في سبيل  
الدفاع عن مبادئ الإنسان العربي والعالمي والعمل على تحقيق إنسانية  
هذا الإنسان . والإكثار من هذه المؤتمرات ضجيجاً في صحراء لا صدئ له .  
فلنؤمن بان الأدب للأدب ، بل الأدب من أجل الكادحين ليس  
ليقرأوه بل ليتخذوه سلاحاً ضد استغلال الإنسان لآخيه الإنسان ، وضد  
السلطات القاشمة التي تتحكم بمصائر الجماهير ، من أجل الديمقراطية  
الشعبية من أجل حرية العمال والفلاحين المنتجين ، وهذا يعني أن الأدباء  
سوف يواجهون جميع السدود المجتمعية والأسوار ، ولكن يجب اقتحام  
جميع الأسوار في سبيل فجر الإنسان العربي ، فقد آن للذين استضعفوا  
على الأرض أن يثوروا ليملكوا زمام مصيرهم ، وعلى الأدباء وحدهم  
تقع مسؤولية توعية الجماهير العاملة وتنظيمها للقيام بدورها التاريخي  
ضد عدو الإنسانية الثنائي الاستعمار والرجعية .

إن الوجدان القومي العربي غداً حقيقة موضوعية لا خيال شاعر  
ولا نغم موسيقي ، بل ممارسة عملية لبناء وطن عربي واحد تحت راية  
واحدة ، ولواء واحد ، تلك الحتمية التاريخ ، والذين لا يؤمنون بالتاريخ  
فإننا ندعوهم أن يتصدوا للتاريخ ، والذين ينطلقون من ذاتيات طبقية  
مريضة عديمة ، هم وحدهم الذين يحفرون لأنفسهم قبراً بأيديهم ، ونحن  
سوف نساعدهم بكل إمكانياتنا على ردم قبورهم عليهم ، وأدباء اليمن  
يمدون كفهم الى أدباء الوطن العربي بصلابة وإصرار وجرأة متحدين  
القبود والحدود كافرين بالجمود والتعصب والذرائع والإقليمية الضيقة .  
وإذا تناقضت الوسائل فلا يجب أن تتناقض الأهداف الواحدة  
والذين لا يؤمنون بحتمية الوحدة العربية هم وحدهم مسؤولون عن  
عدمهم لأنهم دمي في أيدي الاستعماريين والرجعيين يفسفون لهم  
ويطورون مفاهيمهم في محاربة الشعب العربي وجوابنا لهم هو أنهم :

لن يردموا أبداً نهر الحياة وقد

تدافعت فيه كالحصى سواقينا

إن العروبة قد قامت قيامتها

فليشمخ الشعب ولنسقط أعمادنا

سعيد الشيباني